التوغل الفرنسي في منطقتي الأوراس والزيبان

د/ تلمساني بن يوسف

جامعة الجزائر

في إطار استراتيجية الاحتلال الشامل التي انتهجها الجنرال بيجو منذ تقلده منصب حاكم عام في الجزائر، شرع الجيش الفرنسي يلاحق المقاومة بزعامة الحاج أحمد باي، والحيلولة دون امتداد نفوذ الأمير عبد القادر إلى الشرق، وتطويق جيوب المقاومة في الزيبان والحضنة ومجانة، عن طريق استمالة وتوظيف الأسر النافذة في المناطق الآنفة الذكر كعائلة ابن قانة وبوضياف والمقراني، لتكون اليد الطولى للإدارة العسكرية الفرنسية في ربوع تلك المناطق . تمهيدا لعملية التوغل الفرنسي والاحتلال المباشر .

تعود المحاولة الأولى - للتوغل الفرنسي في الزيبان بصفة غير مباشرة إلى نهاية 1838 حيث استغل الجنرال غالبوا العرض الذي تقدم به بوعزيز بولخراص بن قانة، الذي مفاده العمل تحت راية الفرنسية مقابل تسميته في منصب شيخ العرب، وعليه لم يتأخر الفرنسيون في قبول هذا العرض حيث أبرق الجنرال غالبوا إلى الماريشال فالي الحاكم العام في الجزائر في 29 ديسمبر 1838 ليطلعه على هذه المستجدات [1] التي و لا شك أنها تمثل ضربة قاسية لمقاومة الحاج أحمد باي و تفتح الطريق أمام الاحتلال الفرنسي للتوغل نحو الزيبان والاستحواذ على الأسواق التجارية، لا سيما وأن بسكرة تمثل إحدى أهم أسواق القوافل التجارية العابرة للصحراء والرابطة أيضا بين تونس

والمغرب، وفي نفس الوقت يتم تقويض دولة الأمير عبد القادر في الزيبان.[2]

لقد عملت السلطات الفرنسية خلال الفترة الممتدة ما بين 1839 – 1844 على إذكاء نار الفتنة و الصراع بين العائلات النافذة ممثلة في فرحات بن سعيد، الذي يسعى إلى استرجاع نفوذه الضائع تارة تحت المظلة الفرنسية وتارة أخرى ممثلا للأمير عبد القادر من جهة وعائلة بن قانة التي تنصلت من الحاج أحمد باي بعد أن سقط حكمه رغم صلة الرحم . وحفاظا على السلطة والمال ارتمى ابن قانة في أحضان الفرنسيين و قاتل فرحات بن سعيد إلى أن تخلص منه سنة 1842 على يد البوازيد، ثم تفرغ لمحاربة خليفة الأمير في الزيبان محمد الصغير بن أحمد بلحاج ، وكان ابن قانة قد قضى على معظم قوات خليفة الأمير السابق حسن بن عزوز في معركة سالسو 24 مارس 1840 [3].

ابتهج الفرنسيون كثيرا بالانتصار الذي حققه ابن قانة على خليفة الأمير عبد القادر وتعبيرا لذلك قلّدت الإدارة الاستعمارية عائلة بن قانة الأوسمة و النياشين، دون أن تمدهم في هذه المرحلة بقوات فرنسية، مادام أن الاقتتال بين الأشقاء سيضعف الجميع ويضع المنطقة في النهاية لقمة سائغة في يد الفرنسيين .

استمر الصراع بين محمد الصغير بن أحمد بلحاج وبوعزيز بن قانة مدة عامين(1842 -1844) دون أن يحسم لطرف، وأضحت منطقة الزيبان منقسمة إلى صفين متحاربين . حاصرت قوات بن قانة واحة سيدي عقبة و قصبة مدينة بسكرة ردحا من الزمن دون جدوى، واستنجد عدة مرات بالقوات الفرنسية، إلا أن هذه الأخيرة أخّرت المسألة حتى تم ترتيب الأوضاع في الشمال القسنطيني، وفي الجهة الشرقية من قسنطينة أين تم إخضاع قبائل الحراكتة والحنانشة وبني صالح وكذا الجهة الغربية من الإقليم حتى سطيف وشمال الحضنة [4].

احتلال باتنة وبسكرة

وبتولي الدوق دومال[5] القيادة العليا للجيش الفرنسي في الشرق الجزائري في 5 ديسمبر 1843 خلفا للجنرال(Baraguay – d'Hilliers) -كمكافأة على الإنجاز الذي حققه باستيلائه على " الزمالة" عاصمة الأمير المتنقلة في 16 ماي 1843 بطاقين -أراد أن يضيف إلى سجله إنجازا آخر بملاحقة الحاج أحمد باي .

نستشف ذلك من خلال تكثيفه الحملات على مناطق تواجد هذا الأخير وإقامة مراكز عسكرية متقدمة في الأوراس والقنطرة وبسكرة في إطار استراتيجية متكاملة مع تلك الجارية في وسط وغرب البلاد بغرض دفع المقاومة خارج

المناطق التلية ثم ملاحقتها على مشارف الصحراء ومن ثمة حرمانها من مصادرها البشرية والمادية .

في هذا الإطار قرر الدوق دومال إقامة مركز عسكري بباتنة يكون نقطة انطلاق للطوابير العسكرية المتنقلة بهدف إتمام عملية إخضاع قبائل جبال الأوراس وجبل أحمر خدو والجنوب الشرقي من الحضنة والزيبان . ولذلك أرسل الدوق دومال يوم 8 فيفري 1844 ، المقدم " بوتافوكو(Buttafuoco) على رأس 1000 جندي وضابط لإقامة المركز العسكري المشار إليه آنفا [6]، حيث تم اختيار موقعا استراتيجيا بالقرب من آثار المدينة الرومانية لامبيز والقرية الصغيرة المسماة باتنة الواقعة في سهل ممتد من الشمال نحو الجنوب، يفصل بين جبل الأوراس وجبل مستاوة وبين التل والصحراء.[7]

ونظرا للخطر الذي أصبحت تشكله المقاومة المحلية على المركز العسكري الفرنسي بباتنة ، قاد الدوق دومال بنفسه حملة عسكرية مشكلة من أكثر من طابور ، بغرض تأمين الطريق الرابط بين باتنة و قسنطينة وإخضاع المزيد من القبائل القاطنة على مشارف هذا الطريق، وتسريع أشغال المركز العسكري وإقامة مستشفى والتحصينات اللازمة ، حتى يكون نقطة انطلاق الطوابير العسكرية المتنقلة العاملة في تلك الجهة ، بغية ملاحقة الحاج أحمد باي و ضرب مصادره

الحيوية، الزراعية منها والحيوانية بواسطة الحرق و المصادرة. والانتقام من أطفال نساء وشيوخ القبائل الموالية له ، لإجبارها على إخراجه من مناطقها ، أضف إلى ذلك أن هذه الحملة كانت تهدف أيضا إلى التوغل

في منطقة الزيبان لتثبيت سلطة شيخ العرب ابن قانة الموالي للفرنسيين على حساب نفوذ الأمير عبد القادر [8] .

حملة الدوق دومال في الأوراس والزيبان

في هذا السياق جاءت حملة الدوق دومال في 23 فيفري 1844 مشكلة من 2400 جندي مشاة و 600 من سلاح الخيالة و 3 قطع مدفعية جبلية و قطعتي مدفعية ميدان.

بوصول هذه القوات إلى باتنة حيث توجد قوات المقدم بوتافوكو، تجمّعت قوات المقاومة في حوالي 600 فارس من أولاد سلطان والأخضار والحلفاوية لقطع الطريق بين باتنة والزيبان في المكان المسمى القنطرة، للحيلولة دون وصول الإمدادات من جمال ودواب مختلفة سخرها شيخ العرب ابن قانة لتوفير وسائل النقل للقوات الفرنسية من باتنة إلى الزيبان.[9]

ورغم ذلك فإن هذه الإمدادات قد بلغت باتنة بعد معركة دارت بين قوات شيخ العرب و رجال المقاومة في القنطرة أسفرت عن سقوط ما لا يقل عن 15 قتيلا في صفوف المقاومة، لا سيما

وأن الدوق دومال أرسل طابورا على جناح السرعة بقيادة الرائد جوبير -(Gaubert) لتأمين الطريق و في ليلة 25 فيفري 1844[10]تحركت قوات الدوق دومال نحو بسكرة بمختلف أسلحتها، حيث وضع سلاح المشاة تحت قيادة العقيد فيدال دولوزان (Videl de luzin)– وسلاح الخيالة بقيادة نويل (Noel)– ،وسلاح المدفعية تحت إشراف الجنرال ليهين(Leihin)– ، بالإضافة إلى القوات الإضافية المشكلة من القوم و فرقة الصبايحية بقيادة النقيب مسمار-(Mesmer)[11].

وللتقليل من مخاطر مواجهة محتملة لقوات الحاج أحمد باي، أعطى الدوق دومال أوامره للجنرال سيليغ (Sillegue)– بقيادة قوات أخرى مشكلة من فيلقين و 200 خيالة لتتحرك من سطيف نحو أولاد سلطان التي تعد القوة الضاربة في مقاومة الحاج أحمد باي في هذه الفترة – حتى يشغلها عن اعتراض قوات الدوق دومال لا سيما في المناطق الوعرة مثل القنطرة وخنقة سيدي ناجي على الطريق المؤدي إلى مدينة بسكرة [12].

خاضت قوات الجنرال سليغ عدة مواجهات ضد المقاومة منها تلك التي دارت في نقاوس ،تمكن خلالها من دحر قوات الحاج احمد باي و تشتيت جهودها بين اعتراض القوات القادمة من سطيف و تلك المتوجهة إلى بسكرة.

بالمقابل استغل الدوق دومال تراجع المقاومة لنشر الرعب و الفزع في وسط السكان العزل بمصادرة الأرزاق والمواشي و إرغام المداشر على الاستسلام و تقديم الرهائن . أعمال قادها المقدم بوسكارين (Bouscaren)– والمقدم مكماهون (Mac-Mahon)– ألحقت أضرارا جسيمة بأعراش و قرى قبيلة الأخضارو بني معاف، في حين تولى الدوق منتبنسي (Duc de Montpensier)– مهمة احتلال ممر القنطرة وتأمينه أمام القوات الفرنسية الزاحفة، مما مكن الجيش الفرنسي من بلوغ مدينة بسكرة واحتلال قصبتها في 4 مارس 1844 دون مقاومة تذكر، بعد أن أخلاها خليفة الأمير عبد القادر، الذي تجنب المواجهة المباشرة لعدم تكافؤ القوى.

انسحب محمد الصغير خليفة الأمير إلى مرتفعات جبل أحمر خدو يترقب مع أتباعه التطورات الجارية في بسكرة في انتظار الفرصة المناسبة لإعادة تحرير المدينة.

بعد أن أجرى الدوق دومال الترتيبات اللازمة في بسكرة، أوكل مهمة إدارة المدينة للقايد محمد الصغير بن قيدوم بن قانة محاط بـ 8 ضباط وضباط صف فرنسيين و قرابة الخمسين جندي، بغرض مساعدته على تشكيل حامية عسكرية من الأهالي.[13]

في حين قاد الدوق دومال حملة ضد خليفة الأمير عبد القادر الذي لجأ إلى جبل احمر خدو، لكن سرعان ما اختار الدوق دومال هدفا سهلا حيث أعطى أوامره بشن هجوما يوم 15 مارس 1844 على قرية مشونش للانتقام من بني أحمد أكبر الأعراش في هذه القرية بحجة موالاتهم لخليفة الأمير ، فأمر بحرق دورهم ومصادرة مواشيهم ومؤنهم، ورغم ذلك استمات أهل مشونش في الدفاع عن أنفسهم، حيث قتلوا 6 فرنسيين من بينهم ضابط وجرحوا أزيد من 16 آخرين ، بالمقابل قتل 14 من أهل القرية و جرح عدد كبير، لا سيما من النساء و الأطفال، مما جعل رجال مشونش ينسحبون إلى المرتفعات و أعلن بقية السكان استسلامهم عنوة.[14]

لقد وصفت معركة مشونش في بعض الكتابات الفرنسية أنها كانت مثالا للاستماتة و التآزر أبداها أهل الأوراس في الدفاع عن مواطنهم من داخل القلاع.[15]

بعد أن تم إخضاع قرية مشونش و فرض الغرامات على من تبقى من أهلها وضعت تحت سلطة ابن قانة، بينما واصلت الطوابير العسكرية حملتها ضد أولاد سلطان الذين اغتنموا فرصة انشغال الدوق دومال في الزيبان وجبل أحمر خدو لمهاجمة المعسكر الفرنسي في باتنة لتخفيف الضغط عن إخوانهم في المناطق المحاصرة.[16]

لهذه الأسباب وغيرها عاودت القوات الفرنسية بقيادة الدوق دوما لهجوماتها على المنطقة الواقعة شمال غرب باتنة ، أعني بذلك موطن قبيلة أولاد سلطان التي تأوي بين صفوفها الحاج أحمد باي، والذي بات يشكل خطرا على الاحتلال و التوسع الفرنسي في منطقة الأوراس .

انطلقت هذه القوات من باتنة في 24 أفريل 1844 نحو مرتفعات نقاوس أين دارت معركة حامية الوطيس، تمكن على إثرها رجال المقاومة من إجبار القوات الفرنسية على التراجع و ألحقوا بها خسائر بشرية غير أن التقارير العسكرية الفرنسية بررت هذه الهزيمة بعامل الضباب الذي أربك الجيش لانعدام الرؤية.[17]

و بعد أسبوع من المعركة الآنفة الذكر، جدد الفرنسيون محاولتهم الثانية في 1 ماي 1844 بعد أن وصلتهم إمدادات إضافية من باتنة و من شيخ العرب بالزيبان و من قوم الحضنة بقيادة العربي بن بوضياف، مما جعل معركة 1 ماي أكثر ضراوة من الأولى، تكبد فيها الطرفان خسائر في الأرواح منها مقتل 21 فرنسيا و جرح 76.[18] وتميزت بتضامن العديد من الأعراش و التحاقها بأولاد سلطان، في حين هاجم أهالي الأوراس القاطنين شرق باتنة المركز العسكري الفرنسي بباتنة لتخفيف الضغط على أولاد سلطان ومنطقة بلزمة، الأمر

الذي دفع الدوق دومال إلى نجدة قواته في باتنة و فك الحصار عنها في 8 ماي 1844.[19]

ولتغذية الصراع بين مختلف القبائل بما يخدم المصلحة الفرنسية، عمل الجيش الفرنسي على توفير التغطية والحماية لبعض القبائل البدو الموالين لشيخ العرب ابن قانة[20] ولشيخ الحضنة باعتبارهما أعوان السلطة الاستعمارية وتحريضهما على تخرب المحاصيل الزراعية والأشجار المثمرة والحقول التابعة لأولاد سلطان بتحويلها إلى مراع للمواشي المواشي والدواب عقابا للثائرين وحرمانا لهم. وفي نفس الوقت بهدف زرع الشقاق والصراع بين أبناء الوطن الواحد لتقويض المقاومة وهذا ما أكده الدوق دومال في التقرير الذي رفعه للماريشال بيجو بتاريخ 2 جوان 1844 أخبره فيه أنه أعطى الأوامر لشيخ العرب ابن قانة لتخريب المزارع تلك التي تحولت في ظرف قصير –حسب وصفه -إلى خراب شبيه بما يخلفه الجراد.[21]

في خضم هذه الظروف، استغل محمد الصغير بن أحمد بلحاج خليفة الأمير في الزيبان انشغال القوات الفرنسية بالمواجهات الجارية في الأوراس، والتحاق شيخ العرب ابن قانة والقوم بقوات الدوق دومال لينقض على الحامية العسكرية الفرنسية المتواجدة في قصبة بسكرة ليلة 12 ماي 1844.[22]

استطاع خليفة الأمير عبد القادر أن يسرب عددا من أتباعه داخل صفوف العدو، بعد أن ادعى هؤلاء أنهم فروا من صفوف المقاومة وقرروا العمل تحت سلطة شيخ العرب، وبدون تحفظ جندوا وألحقوا بعناصر حامية قصبة بسكرة ، لحراسة قطيع المواشي والدواب، لقد كان هؤلاء عينا لخليفة الأمير، فبفضلهم تمكن رجال خليفة الأمير من اقتحام قصبة بسكرة ومباغتة جند الحامية ليلا بقوة، تضاربت حولها الروايات ما بين 150و250 مقاتل بقيادة الآغا أحمد الغربي.[23]

انتهت العملية بقتل الضباط الفرنسيين، ما عدا واحد يدعى Pelisse استطاع أن يفر إلى طولقة في جناح الظلام رفقة أحد أتباع إبن قانة، حيث وفر له شيخها محمد المعيول كامل الحماية.

وفي اليوم الموالي دخل محمد بن أحمد بلحاج مدينة بسكرة عائدا إليها وسط فرحة سكانها، حيث وجد في استقباله رجالا من مختلف المداشر والقرى، لا سيما من سيدي عقبة مسقط رأسه.[24]

وما أن بلغ نبأ تحرير خليفة الأمير قصبة مدينة بسكرة وقتل جند الحامية، مسامع الدوق دومال، حتى أعد حملة عسكرية يوم 14 ماي 1844 خرجت من باتنة لتصل يوم 18 من نفس الشهر إلى بسكرة .

بقدوم هذه القوات الهائلة، انسحب خليفة الأمير إلى أولاد داود بالأوراس محاولا تحريض سكان المداشر الجبلية على الجهاد وسعى إلى تنسيق الجهود مع الحاج أحمد باي الذي كان وقتها متواجدا بقرية نارة الواقعة على وادي عبدي ، ولكن يبدو أن جهوده لم تكلل بالنجاح، لهذا ركز جل جهوده على تكسير التنظيم السياسي الذي أقرته السلطة الاستعمارية وسط القبائل التي أبدت خضوعها ، حيث قام بملاحقة القياد الذين عينتهم الإدارة الاستعمارية من أمثال القايد أولاد ساولة ومحمد بن الطيب قايد خنقة سيدي ناجي ، خلال شهر جويلية 1844.[25]

في الوقت الذي أقر فيه الدوق دومال تنظيما عسكريا، إداريا وسياسيا، بهدف إخضاع شامل لمنطقة الزيبان، بعد أن نكّل بسكان الواحات لا سيما سكان سيدي عقبة بحجة تقديمهم الدعم لخليفة الأمير، بعدها أدخل تنظيمات جديدة من الناحية العسكرية، أعيد تشكيل حامية عسكرية فرنسية بتعداد يختلف عن سابقتها عددا و عدة ،و تم تصنيف منطقة الزيبان إلى درجة دائرة Cercle ومقرها الإداري و العسكري مدينة بسكرة ، وعين على رأسها قائدا أعلى برتبة رائد يدعى توماس -(Thomas) ثم خلفه الرائد سان جرمان -(St-Germain .

يساعد القائد الأعلى 4 قيادات من الأهالي موزعة على النحو التالي:

1 - **الخليفة** و هي التسمية الجديدة التي أعطيت لمنصب شيخ العرب، فأصبح بذلك بوعزيز بن قانة يلقب بخليفة الصحراء، تشمل سلطته مايلي : واحة بسكرة(الزاب الظهراوي(بوشقرون، فرفار، البرج، لشانة، الزعاطشة، طولقة) – الزاب القبلي(أورلال و ليوا، مخادمة ، بنطيوس ، مليلي، المناهلة، أوماش–سحيرة) - البدو الرحل من عرب الشراقة والغرابة و أولاد سيدي صالح .

2 - **قيادة الحضنة:** عين على رأسها مقران، و تشمل مناطق أولاد دراج أولاد زيان و بني سويق، بني فراح و أولاد سحنون بالقنطرة والبرانيس والصحاري.

3 - **قيادة الزاب الشرقي** : قسمت هذه المنطقة إلى قسمين حيث خلصت الإدارة الفرنسية إلى تقسيمها بين فرعين متصارعين وهما، أولاد بوعبد الله وأولاد شنوف، وكلاهما من عرش أولاد ساولة.[26] فأصبح الجميع في صراع عن المناصب و الألقاب كل يتنافس لكسب ود الإدارة الاستعمارية على حساب أبناء جلدته .

أدخلت على هذا التنظيم تعديلات عدة مرات إلى أن استقر الوضع في نهاية سنة 1848 على النحو التالي [27]:

القيادات	القرى والقبائل
واحة بسكرة	مدينة بسكرة ، فلياش ، سيدي عقبة ، الزاب الظهراوي و الزاب القبلي ، عمور .
قيادة سي مقران	درواح ، سيدي خليل ، برانيس، بني شويخ ، القنطرة، بني فراح ، الوطاية ، مدوكال، أولاد دراج شراقة، أولاد زيان الصحاري ، أولاد سحنون ، أولاد ناصر، أولاد عمر ، أولاد ناقة ، عيدات ، و زمالة القايد.
قيادة أولاد نايل الشراقة وأولاد جلال	أولاد زكري ، أولاد جلال ، أولاد سيدي خالد و دوسن
قيادة الزاب الشرقي	أولاد ساولة ، لخضار ، أولاد سيدي صالح، سريانة، قرطة، زريبة الواد و بادس ، ليانة، زريبة أحمد ، الفايد، مشونش، حميان، مزاب، أولاد كبايش، أولاد يوب، بني ملقم و الشرفة
قيادة خنقة سيدي ناجي وجبل شرشار	الخنقة، سبالة، جلال العلقة، العشايش أولاد معافة، بني بربار
قيادة النمامشة لغرابة	نمامشة، نمامشة سيدي عبيد، جديدة، فركانة ، تمارزة، مديلة
الرحل البدو	أهل بن علي ، الشرفة ، قمرة .

أخذت الإدارة الاستعمارية في إحداثها لهذا التنظيم كل المعطيات التي جمعها العسكريون وأعوانها من الجزائريين حول التركيبة الاجتماعية القبلية المشكلة لمنطقة الأوراس والزيبان والحضنة و أولاد نايل، ومن ثمة نجدها تعمل على

تجزئة القبائل والأعراش الكبيرة لا سيما الثائرة منها إلى فرق صغيرة تدار من قبل قياد و شيوخ مفروضين عليهم مثل إلحاق أولاد نايل الشراقة بأولاد جلال وغيرها. كما لجأت إلى سياسة التهجير القصري داخل البلاد لأعراش بأكملها مما أدخل مناطق بأكملها في صراع داخلي وظفته الإدارة الاستعمارية بما يخدم مصالحها في الجزائر. هذه السياسة لم تقتصر على جهة الزيبان والأوراس، بل انتهجتها في معظم أنحاء الوطن.

في نفس الوقت واصلت الإدارة الاستعمارية تكثيف حملاتها العسكرية على المناطق الجبلية الثائرة خاصة بالأوراس أين تمكن الجنرال بيدو -(Bedeau)[28] الذي تولى قيادة مقاطعة قسنطينة خلفا للدوق دومال من شن عدة حملات مكنته من بلوغ، لأول مرة، قمم جبال الأوراس وإخضاع العديد من الأعراش سنة 1845 مستغلا الدعم البشري واللوجيستيكي الذي أصبح القائد الأعلى للدائرة العسكرية ببسكرة العقيد سانت جرمان يوفره له انطلاقا من الزاب الشرقي باعتبار منطقة الزاب تتبع رأسا القيادة العسكرية لشبه المقاطعة بباتنة.

حملة الجنرال بيدو على الأوراس :

قاد الجنرال بيدو القائد الأعلى لمقاطعة قسنطينة حملة عسكرية لملاحقة الحاج أحمد باي و محمد الصغير بن أحمد

بلحاج خليفة الأمير ومعاقبة القبائل الموالية لهما. انطلقت هذه الحملة من باتنة في 1 ماي 1845 ، ضمت 3658 جنديا و 48 ضابطا ، بالإضافة إلى سلاح الهندسة وسلاح المدفعية و قوات اللفيف الأجنبي و فيلق من الأهالي المجندين [29] اختار الجنرال بيدو هذا التوقيت حيث تبدأ الاستعدادات لجني الثمار والمحاصيل الزراعية، ومن ثمة يسهل على القوات الفرنسية أن تفرض المزيد من الضرائب ، دون أن تتلقى مقاومة من السكان القرويين الذين عادة ما يتفادون المواجهة خوفا من أن تحرق حقولهم بثمارها بعد طول الانتظار. وعلى العكس من ذلك فإن سكان المناطق الجبلية تصدوا بشراسة للقوات الفرنسية منها تلك المواجهة التي أسفرت عن جرح 18 جنديا فرنسيا، ومقتل 80 من سكان المداشر ، معظمهم من أولاد عبدي وأولاد داود، جنوب باتنة ، ثم اتجهت القوات الفرنسية نحو بني وجانة يوم 10 ماي 1846 ، أين تم حرق قرية تامزة التابعة لعرش العمامرة بهدف حرمان سكان هذه المنطقة من مدخراتهم و أقواتهم ، وإجبارهم على الخضوع ،و تم مصادرة 100 رأس بقر و60 بغلا وحصانا و6000 رأس غنم .[30]وأثناء عودة هذه القوات دمرت قرية حيدوس، إلا أنها تلقت مقاومة عنيفة من لدن سكان ثنية العابد و فج القاضي، قتل على إثرها 5 فرنسيين و جرح 20 ، بالمقابل أحرقت القريتين عن آخرهما انتقاما من أهلها . بهذه

الكيفية و الأساليب الهمجية أجبر سكان الأوراس على التظاهر بالخضوع و دفع الضرائب والغرامات لإدارة العدو.[31]

وخلال شهر جوان من نفس السنة داهمت هذه القوات قرى بني بوسليمان في الجهة الشرقية من الأوراس، أين تم حرق قلعة قصر تكوت و مخازن قبيلة جار الله و منها اتجهت تلك القوات إلى خنشلة بغرض إخضاع أعراش العمامرة مما اضطر خليفة الأمير إلى الانسحاب إلى الجريد بتونس وخضوع مداشر جبل أحمر خدو وجبل ششار للإدارة الاستعمارية.[32]

في العام الموالي تواصلت الحملات العسكرية مستهدفة قبائل النمامشة التي حملت لواء المقاومة من خلال شخص أحمد بن بلقاسم الذي ادعى أنه شريف النسب، وأعلن الجهاد ضد الفرنسيين، فشغل بذلك الفراغ الذي حصل بعد انسحاب خليفة الأمير من المنطقة.[33]

استطاع أحمد بن بلقاسم أن يجمع حوله العديد من الأتباع الناقمين والرافضين للاحتلال الفرنسي، ونشر الذعر والفزع في وسط الموالين لسلطة الاحتلال، حيث هاجم قرية ليانة واستولى عليها.

وفي 7 نوفمبر 1846 زحف على قصر بادس ثم على خنقة سيدي ناجي، حيث بات يهدد المسالك وطرق الاتصال بين باتنة وبسكرة الأمر الذي دفع الرائد سان جرمان إلى شن حملة

عسكرية ضد الشيخ أحمد بن بلقاسم، مما جعل هذا الأخير ينسحب من خنقة سيدي ناجي و يحتمي بالجبال.

في 9 ديسمبر 1846 شن الرائد سان جرمان حملة أخرى ساهمت فيها القوات الفرنسية النظامية إلى جانب 250 من قوم شيخ العرب، استهدفت قرى ومداشر نمامشة الواقعة في جبل الشرق. استطاع العدو بعد معركة غير متكافئة من الاستيلاء على 100 خيمة و 300 جمل و 3000 رأس غنم.[34]

نظرا للضغوطات العسكرية والاقتصادية و القوانين الزجرية التي سلطت على رقاب الجزائريين، تراجعت المقاومة في الأوراس والزيبان متأثرة باستسلام الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي من بعده . وعلى الرغم من كل ذلك استمرت الانتفاضات المحلية والثورات الشعبية، تندلع هنا وهناك معبرة عن رفضها للاحتلال، منها مقاومة واحة الزعاطشة في الزيبان ومقاومة محمد بن عبد الله وبن ناصر بن شهرة وسكان سباو وجرجرة ومقاومة أولاد سيدي الشيخ.

الهوامش:

1-Bengana ,Bouaziz , Le cheikh el Arab , étude historique sur la famille Bengana
2-Paluel – Marmont , Bugeaud , premier français d'Algérie , tours , maison mame , Paris , 1844 , P.P 50- 51
3- Ouatmani ,Settar , L'insurrection de zaatcha en 1849 **,** thèse, de Doctorat , université de Province - Aix - Marseille , 1998 , P29
4- A.M.G , Rapport du Prince d'Orléans , adresse au Maréchal Gouverneur le 22 Mars 1844 , H235.

5-**الدوق دومال**Duc d'Aumale (هنري ، أوجين، فيليب ،لويس دوأورليان) : ولد بباريس 16 جانفي 1822 ، الابن الرابع للملك لويس فيليب ،تخرج من مدرسة فنسان في سلاح الرماة ، تقلد رتبة نقيب 1839 ، شارك إلى جانب أخيه الدوق أورليان في معركة العفرون 1840 و ثنية موزاية و معركة وادي الزبوج ، تقلد على إثرها رتبة مقدم ، ثم عاد إلى الجزائر 1842 ، تولى القيادة العسكرية بالمدية حتى 1843 ، اشتهر بالاستيلاء على زمالة الأمير 16 ماي 1843 شارك في الحملة على الورشنيس– عين حاكما عاما في الجزائر 21 سبتمبر 1847 حتى 3 مارس 1848 . أطلق اسمه على سور الغزلان .

أنظر

Faucon, Narcisse :Le livre d'or de l'Algérie, Challamel, éditeur Paris 1899, P 22-23

6 - أصبح هذا المركز العسكري نواة لمدينة باتنة الحديثة .

7 - Jean ,Morizot , L'Aurès ou le Mythe de la montagne rebelle, édition L'Harmattan, Paris 1991 , P 123.

8 - Roger - Huetz de lemps, Aumale l'Algérien (1822- 1870) , nouvelles - éditions -latines , Paris1962 , P 66 .

9- Bengana : op.cit P. 89.

أنظر أيضا :

10 **-** Ouatmani ,Settar: op.cit P 32 .

11 - Bengana , op.cit P 89

12 - Jean ,Morizot , op.cit P 126

13 - Ouatmani ,Settar ,op.cit P 32 .

14- A.O.M , 2H85 : Rapport du Duc d'Aumale au Bugeaud , Batna 22 Mars 1844.

15 - Jean ,Morizot , op.cit ,P 127.

16- Jean Morizot ,op.cit, P129.

أنظر أيضا : Bengana , op.cit ,P 97

17 - Jean , Morizot, op.cit P 129.

18- Quesnot(F) , L'armée d'Afrique depuis la conquête d'Alger, Librairie Furne Paris 1851 p.211.

19- Ouatmani ,Settar, op.cit, P 35 .

20 - Quesnot, op.cit ,P 212.

21- بوعزيز بن قانة :من عائلة نافذة في الزيبان ، تولى منصب شيخ العرب في 1826 نظرا لقرابته من جهة بالحاج أحمد باي، بعد سقوط قسنطينة تخلى عن الحاج أحمد باي والتحق بالفرنسيين في نهاية شهر ديسمبر 1838، منح منصب شيخ العرب لمقتضى مرسوم أصدره الماريشال فالي في 14 جانفي 1839، في حين عين أخوه في منصب قايد على قبيلة أولاد عبد النور، كان على رأس مستقبلي الدوق دوأورليان لما نزل بمدينة ستورة 8 أكتوبر 1839 . شن حربا على خليفة الأمير عبد القادر، بن عزوز و تغلب عليه في معركة واد سلسو ، مكن الفرنسيين من احتلال الزيبان و مد يد العون لهم في الأوراس وفي وادي ريغ و الصحراء عموما . توفي في 9 أوت 1861 بقسنطينة و هو آخر من شغل منصب شيخ عرب في المنطقة.

أنظر : Marthe et Edmond Gouvion , Kitab Aàyane el- Marhariba-Territoires du
sud, imprimerie oriental Alger 1920 , P 4 .

22 - Ouatmani ,Settar, op.cit P 35 .

23 - Bengana , op.citP 99.

24 - يذكر بوعزيز بن قانة في كتاب شيخ العرب ص 99 أن العدد قد بلغ 150 ،

بينما ذكر الدوق دومال في تقريره أن العدد كان 250

أنظر أيضا :

A.O.M , Rapport du Duc d'Aumale ,op cit , 2 H 86 .
Charles , Feraud : Le Sahara de Constantine , Notes et souvenirs , jourdan Alger 1887 , P 370

25 - Bengana , op.cit, P 101.

26 -Bengana , Ibid, P 104.

27 - A.M.G, District Oasis Du Ziban .H227 .
Outtmani , Settar, p43 نقلا عن:

28 - A.O.M , Notice sur la division territorial et la population indigène par - lieutenant Dubosquet , Biskra , 31 décembre 1848 10H 8

أنظر أيضا : A.M.G , District Oasis Du Ziban .H227

29 - **بيدو(ماري ألفونس)** : ولد بفرتون قرب نانت 19 أوت 1804، خريج مدرسة سانسير 1822، انتقل إلى الجزائر 1837، تقلد رتبة مقدم ، شارك في احتلال قسنطينة 1837 ، أصيب بجروح في عملية احتلال شرشال مارس 1840. شارك في معركة ثنية موزاية 1840 ، شارك في معركة إيسلي 1844 ، تقلد رتبة لواء، قاد حملة ضد بجاية 1847 ، عين حاكما بالنيابة خلفا للدوق دومال. شارك في قمع الثورة الشعبية بباريس 1848 ، كان معارضا للانقلاب ، ألقي عليه القبض 2 ديسمبر 1851 ، ثم أحيل على التقاعد ، توفي في 29 أكتوبر 1863 .

أنظر : Narcisse , op.cit , P 53- 55 .

30 - Jean ,Morizot , op.cit , P 128.

31 - Ibid, P 130.

32 - Herbillon,Insurrection survenue dans le sud de la province de Constantine 1849 en relation siège de Zaatcha, Librairie Militaire, Paris 1862, p83.

33 - Bengana , op.cit ,P 105.

34 - Jean ,Morizot , op.cit P 131.